

المدينة فضاءً لترسيخ قيم المواطنة : الاندماج الاجتماعي مثالا.

## The city as a space to solidify the values of citizenship: social integration example.

ادريس بلاعلي<sup>(1)</sup>

ملخص:

تسعى هذه المقالة إلى تناول موضوع المدينة ودورها كفضاء اجتماعي، لترسيخ قيم المواطنة، من خلال تجاوز البعد المادي للمدينة إلى الكشف عن أهمية جعل المدينة القلب النابض لقيم التسامح والتضامن، والتعاون، ومجال تُظهر فيه مكونات المدينة قدرتها على المساهمة في الوصول إلى تحقيق الاندماج الاجتماعي من خلال تقبل الاختلاف ثقافيا واجتماعيا، ومعتقدا. وسيتم تبين بعض الاشكالات التي تعيق تحقيق ذلك، وطرح بعض الجوانب التي يمكن أن تعيد للمدينة أدوارها الاجتماعية. لهذا سأتناول هذا الموضوع من خلال العناصر التالية : المدينة والمواطنة في الإرث الفلسفي الغربي، المدينة كموضوع للدراسات السوسيولوجيا المعاصرة، سبل جعل المدينة فضاء للاندماج الاجتماعي بين مختلف مكوناتها.

كلمات مفتاحية: المدينة، المواطنة، الاندماج الاجتماعي، التطوع.

### Abstract:

This article seeks to address the theme of the city and its role as a social space, to solidify the values of citizenship, by going beyond the physical dimension of the city to reveal the importance of making the city the beating heart of the values of tolerance, solidarity, cooperation, and an area in which the city's components demonstrate their ability to contribute to social integration by accepting cultural and social difference, belief . Some problems that impede this will be identified, and some aspects will be raised that could restore the city's social roles. I will therefore address this subject through the following elements: the city and citizenship in the western philosophical heritage, the city as a subject of contemporary sociological studies, ways to make the city a space for social integration among its various components.

Keywords: city, citizenship, social integration, volunteering.

<sup>(1)</sup> باحث في سلك الدكتوراه، جامعة ابن زهر، أكادير، [Driss.Bellaouali15@gmail.com](mailto:Driss.Bellaouali15@gmail.com)

يرجع الاهتمام بمفهوم المدينة في الفكر الإنساني، إلى المجتمع الإغريقي وبشكل خاص إلى الفلسفة اليونانية التي مهدت للسؤال حول المدينة والمواطنة في مدينة أثينا مايزيد عن 400 سنة قبل الميلاد. حيث أن تيمة المدينة في الحقل الفلسفي اليوناني تم الاهتمام بها في سياق التحولات الاجتماعية، والثقافية والسياسية والاقتصادية التي عرفت أثينا في تلك المرحلة. فكانت أولى بوادر تشكل فضاء حضن قضايا المدينة والمواطن اليوناني من خلال ساحة (Agora)، التي كان لها الفضل في طرح شؤون المدينة للنقاش بين مختلف مكونات المجتمع اليوناني. من هنا بدأت المدينة توفر مساحات أوسع للتلاقح الثقافي والفكري والاجتماعي، أعطت الملامح الأولى لصورة المواطن داخليا.

وامتد الاهتمام بهذا الموضوع في الحضارات الإنسانية؛ الرومانية والإسلامية، والغربية الأوروبية، وشكل مجالا للتفكير في حقول معرفية مختلفة في الفلسفة، وعلم الاجتماع، والانثروبولوجية والعلوم السياسية في المرحلة الحديثة والمعاصرة. وستظهر معها أسئلة كبرى تهم بالأساس: كيف تخطر المدينة في المتن الفلسفي والعلوم الاجتماعية؟ هل استطاعت المدينة منذ بروزها إلى اليوم أن تتجاوز الأبعاد الفزيائية العمرانية إلى أدوار اجتماعية متعددة ترسخ قيم المواطنة؟ بأي معنى يمكن للمدينة أن تشكل فضاءا للاندماج الاجتماعي؟ كيف يمكن أن تحقق ذلك من خلال مداخل التعايش المشترك بين مختلف مكونات المدينة؟ وأي سبل ممكنة لتعزيز قيم الاندماج الاجتماعي داخل الفضاءات العمومية للمدينة، لضمان مواطنة منفتحة؟. افتراضا منا أن المدينة تستطيع أن تؤدي أدوارها الاجتماعية والسياسية والثقافية عندها يتم الاعتراف بأحقية المواطن في استغلال فضاءاتها العمومية، كمجالات للاندماج الاجتماعي بمختلف مستوياته، وبين كل فئات المجتمع، ومختلف عناصرها الهوياتية والفكرية والثقافية.

## 1- مداخل دلالية ونظرية حول المدينة والمواطنة.

### 1-1 مفهوم المدينة

نشير في البداية إلى أن جمع دلالة المفهومين في فقرة واحدة يعود إلى قناعة أساسية؛ وهي أن الحديث عن المواطنة لم يكن منفصلاً عن الحديث عن المدينة. وهذا ما سنبينه فيما بعد. ويستخدم مفهوم المدينة من الناحية اللغوية ويقال: "دين فلان يدان إذا حمل على مكروه". ومنه قيل للعبد مدين ولأمة مدينة. وقيل هي من دنته إذا جازيته بطاعته قاله الراغب<sup>(2)</sup>. واصطلاحاً تستخدم وفق تحديدات وسياقات مختلفة. حيث يرى الفيلسوف اليوناني أفلاطون ( Plato 428-347 ق.م.)، أن "عندما يتجمع أولئك الشركاء الذين سياعد بعضهم البعض في إقليم واحد، نسمي مجموع السكان المدينة-دولة"<sup>(3)</sup>. هذا ما يجعل منا نستخدم هنا مفهوم المدينة وفق هذا التوجه الذي نتجاوز فيه التحديدات الجغرافية أو الاحصائية التي تختزل المدينة في بعدها المادي. ولا يختلف عنه كثيراً أبو نصر محمد الفارابي (874 م - 950م) الذي يرى بدوره أن "المدينة هي الخلية الأولى للمجتمعات الكاملة، فبصلاحها تصلح المجتمعات، وبفسادها يسود الفساد"<sup>(4)</sup>. أي أن للمدينة دور كبير في تنظيم المجتمعات وفي تماسكها أو في انهيارها. حيث شكلت المدينة الفاضلة من منظور الفارابي مصدر السعادة والكمال. فيها تتحقق الغايات المثلى للمواطنين. ويمكن أن نفهم ذلك بشكل أوسع في التحديد الذي نجده عند عبد الرحمان ابن خلدون (1332م - 1406م)، إذ تحيل المدينة على "قرار تتخذة الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه فتؤثر الدعة والسكون وتتوجه إلى اتخاذ المنازل للقرار"<sup>(5)</sup>. هذا التحديد الذي قدمه ابن خلدون يتماشى مع المسار الذي سنسلكه في هذه الورقة، حيث أن المدينة عنده ليس مجرد بناء مادي ومعماري فزيائي، بل تعبر المدينة عن معاني اجتماعية وسياسية، تتجلى في الأدوار التي تقوم بها المدينة من ضمان

(2) شهاب الدين الخفاجي المصري، شفاء الغليل في كلام العرب من الدخيل (1569 - 1659م) - تحقيق د. محمد كشاش. مكتبة الشامل الإلكترونية، ص 334. رقم الكتاب في المكتبة الشاملة: 55079، الطابع الزمني: 2022-01-20، [https://shamela.org/pdf/636185eef153d\\_e79ecc2bcb65f70609f740582143d562](https://shamela.org/pdf/636185eef153d_e79ecc2bcb65f70609f740582143d562) اطلعت عليه يوم 2022-11-01 الساعة 23h30.

(3) أفلاطون، الجمهورية، ترجمة ودراسة فؤاد زكرياء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1985م، الترجمة العربية ص 227.

(4) علي عبد الواحد الوافي، المدينة الفاضلة للفارابي، الناشر نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1986، ص 29.

(5) عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ، ص 384.

للاستقرار وتلبية الحاجيات، وتنظيم حياة الناس. وبمعنى أدق نقول أن المدينة فضاء لتحقيق التعايش المشترك كمبدأ أساسي من مبادئ المواطنة التي تضمن للمواطن الاندماج الاجتماعي. وسيوضح التحديد بشكل أعمق مع ما سنقدمه حول مفهوم المواطنة نظراً للارتباط الموجود بينهما.

## 2-1 المواطنة:

وننطلق هنا من التحديد اللغوي لمصطلح المواطنة، بالقياس اللغوي على وزن (مُفاعلة)، أي مشاركة، فيكون " معنى المواطنة تشارك عدد من الأفراد (المواطنين) في العيش معا على أرض واحدة محدّدة، أو في وطن واحد ويشكلون مجتمعا معينا، أو الدولة بالمعنى الحديث للكلمة " (6). ويعود أصل كلمة المواطنة في اللغة اليونانية إلى كلمة (polis)، وتعني المدينة، "باعتبارها بناء حقوقيا، والمشاركة في شؤون المدينة، كما استعملت المواطنة كترجمة للكلمة الفرنسية (citoyenneté)، وهي كلمة مشتقة من (cite)، وتقابلها باللغة الانجليزية كلمة (citizenship)، المشتقة من كلمة (city)، أي المدينة" (7).

إذا كانت كلمة المواطنة حاضرة في المرجعيات الفكرية واللغوية الغربية بهذا الشكل، فإنها شبه غائبة في القاموس العربي الذي كثيرا ما يستخدم كلمة موطن أو وطن، عوض المواطنة، وهذا ما نجده في لسان العرب لابن منظور (1232 م - 1311 م): "الوطن، المنزل، الموطن، المكان الذي نقيم فيه، وهو موطن الانسان ومحلّه، وطن، يطن وطنا: أقام فيه، وطن البلد؛ اتخذه وطنا، وجمع الوطن أوطان: منزل إقامة الإنسان ولد فيه أم لم يولد" (8). أما اصطلاحا، فالمواطنة تدل على " التزامات متبادلة بين الأشخاص والدولة، فالشخص يحصل على حقوقه المدنية والسياسية، والاقتصادية والاجتماعية نتيجة انتمائه لمجتمع معين، وفي الوقت ذاته يتحتم على الشخص تأديتها" (9). وفي قاموس علم الاجتماع تم تعريفها على أنها مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (دولة)، ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء، ويتولى الطرف الثاني الحماية، وتتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق القانون" (10). وبالتالي لا يمكن الحديث هنا عن المواطنة إلا داخل المدينة كمنطلق لجميع العناصر المفسرة

(6) عيسى الشماس، المجتمع المدني " المواطنة والديمقراطية". سوريا منشورات اتحاد العرب، 2000، ص 39 ص 40.

(7) غانم أحمد الصانع، التأصيل التاريخي لمفهوم المواطنة، دراسات اقليمية، العدد 13، العراق، 2009، ص 13.

(8) ابن منظور، لسان العرب، دار احياء التراث العربي، بيروت مجلد 15، ط2، 1993، ص 338.

(9) مشيل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، ترجمة عادل الهواري، مكتبة الفلاح، الكويت، ط 1، 1984، ص 110.

(10) محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص 19.

لها. باعتبار أن المدينة كما حددها واتلر بور (Watler Bor): "المدينة هي مكان يعيش فيه الناس ويعملون ويمارسون هوايتهم، وتوجد بها أماكن للسكن، والعمل، والتجارة، والمسارح، وكافة وسائل الاتصال"<sup>(11)</sup>. ينطلق هذا التعريف من الربط بين الوجود المادي للمدينة وبين الأنشطة التي يمارسها المواطن داخلها. هذا الارتباط يتجلى في كون الاعتراف بحقوق المواطن غير مستقل عن التحول الذي شهدته المدينة سياسيا من حيث بروز أشكال جديدة للمؤسسات السياسية التي تولت تدبير شؤون المواطنين داخل المدينة، سهلت عملية اندماجهم في الحياة المشتركة التي أصبحت تنظم بقوانين. واجتماعيا وثقافيا، وفكريا من خلال الفرص التي وفرتها المدينة لتبادل أنماط العيش والسلوك، والقيم والعادات، والفنون والآداب، والمعرفة والعلوم.

## 2-1 الارتباط النظري بين المدينة والمواطنة:

إلا أن الحديث عن مفهوم المواطنة في الحقل السياسي ارتبط أساسا بظهور مفهوم المواطن تاريخيا، وذلك بتمكين المواطن من مجموعة من الحقوق المدنية، والسياسية، والاقتصادية والاجتماعية، والثقافية، مع ما عرفه هذا التمكين من تحولات كبيرة منذ القدم إلى الآن. وتعتبر دائرة المعارف البريطانية عن دلالة المواطنة بأنها: "...علاقة بين فرد ودولة كما حددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق في تلك الدولة"<sup>(12)</sup>. ويتجدد الحديث عن هذا التحديد السياسي والحقوق لمفهوم المواطنة، في سياقات مختلفة، وعن هذا يقول كل من (دومينيك شنابر Dominique Schnapper و"كريستيان باشوليه Christian bachelier)، في كتابهما ما المواطنة ؟: "عاود مصطلح مواطن (CITOYEN)، الظهور بشكل به الكثير من الإصرار، في البلدان الديمقراطية. وهو مصطلح سبق للثورة الفرنسية إبداء حماس كبير لاستخدامه، حماس اتسم أحيانا بالمبالغة. وقد بتنا اليوم من فرط استعماله، نراه ناعنا الكثير من الكلمات مما روج لتراكيب مثل ( Rencontre citoyenne و Action

<sup>(11)</sup> محمد عباس إبراهيم، التنمية والعشوائيات الحضرية، اتجاهات نظرية وبحوث تطبيقية، دار المعرفة الجامعية 2000، ص 22.

<sup>(12)</sup> The New Encyclopedia Britannica, Volume 3, micropaedia, Library of congress, 15th edition, u.s.a 2003, p:332.

باعتبارها حاملة لمعاني اعتبارية، وحقوقية، وسياسية ومدنية، واجتماعية. في نفس السياق تقول دومينيك شنابر "إن المواطنة أساس الشرعية السياسية، حيث أن المواطن لم يعد فقط فردا في دولة القانون، بل إنه يتمتع بجزء من السيادة السياسية"<sup>(14)</sup>. من خلال هذه السيادة التي تحدثنا عنها، يمكن تأويلها بالمشاركة السياسية للمواطنين في اختيارهم للسلطة التي تتولى تدبير شؤونهم. من هنا لم يعد المواطن مجرد مستهلك للقرارات السياسية، بقدر ما هو فاعل في إنتاج السلطة السياسية. حيث يضيف في هذا السياق "المواطنة هي مجموع المواطنين الذين يملكون السيادة وهو ما يفسر العبارات والتراكيب المتداولة، مثل: "المواطن ملك" و"المواطن هو السيد"<sup>(15)</sup>. هنا تنتقل المواطنة بالمواطن من موضع "الجنسية بما هي اعتراف رسمي بانتساب المواطن لدولة ما"<sup>(16)</sup>، إلى الاعتراف به كمشارك في تدبير شؤونه الخاصة والعامة.

بناء عليه، يحيل مفهوم المواطنة، من الناحية السياسية، على المشاركة السياسية للمواطنين في تشكيل الإرادة العامة. وبالتالي تعتبر المواطنة مدخلا أساسيا لضمان ديمقراطية المجتمع، وتعبير أدق نستطيع القول إن: "روح الديمقراطية هي المواطنة فلذلك قبل الحديث عن الديمقراطية يجب أن نعي حقيقة المواطنة التي هي القلب النابض لمفهوم الديمقراطية ومن هنا نجد ضرورة التطرق إلى حقوق وواجبات المواطن في الدولة التي ينتمي إليها"<sup>(17)</sup>. إذ لم يعد المواطن بهذا المعنى في موقف سلبي وغير مؤثر، بل أصبح يلعب أدوارا أساسية في الحياة السياسية لوطنه، بل أكثر من ذلك أصبحت المواطنة تؤدي أدوارا أكثر أهمية في الدفع بالمجتمع ككل إلى تحقيق التماسك المنشود لتدبير الشأن العام. في هذا الإطار سيقدم كل من "دومينيك شنابر" و"كريستيان باشوليه" تصورا أوسع للمواطنة من خلال توثيقها بين البعدين السياسي والاجتماعي، بربطها بالدور الذي تقوم به لتحقيق الرباط الاجتماعي، يقولان في هذا السياق: "تعد المواطنة أساس الرباط الاجتماعي؛ ففي المجتمع الديمقراطي الحديث لم يعد الرباط بين الأفراد دينيا

(13) دومينيك شنابر، كريستيان باشوليه، ما المواطنة؟ ترجمة سونيا محمود نجا، المركز العربي القومي، العدد 2618، القاهرة 2016، ص 11.

(14) دومينيك شنابر، كريستيان باشوليه، ما المواطنة؟ ترجمة سونيا محمود نجا، المركز العربي القومي، العدد 2618، القاهرة 2016، ص 11.

(15) المرجع نفسه، ص 13.

(16) المرجع نفسه، ص 13.

(17) معن خليل العمر، علم اجتماع الديمقراطية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2014، ص 151.

أو سلاليا وإنما سياسيا. فعيش أفراد معا لا يعني بالضرورة اعتناقهم ذات الدين أو اشتراكهم في التبعية لذات الملك الحاكم أو خضوعهم لذات السلطة وإنما كونهم مواطنين تابعين لذات النظام السياسي<sup>(18)</sup>. إن هذه المشاركة التي يتمتع بها المواطن بفعل المواطنة، هي التي تمكنه من الاحساس بكرامته. هنا وبشكل واضح تصبح فيه المواطنة ترجمة للتوجه الفلسفي الذي أنتجته فلسفة الحداثة، التي دفعت بالأنظمة السياسية إلى الانتقال من أنظمة تُغيب أهمية المواطنة، والتركيز فقط على السلطة السياسية المستمدة من قوة الحاكم، إلى أنظمة تنهج أسلوب الدولة المدنية، التي ستعيد الاعتبار لدور المواطن في صلب العملية السياسية، وفي جميع مراحل تشكل السلطة. يقول باروخ اسبينوزا (Baruch 1632 Spinoza - 1677) في هذا الباب: "إن الغاية القصوى من تأسيس الدولة ليست السيادة، أو إرهاب الناس، بل تحرير الأفراد من الخوف، بحيث يعيش كل فرد في أمان بقدر الإمكان، أي يحتفظ كل فرد بالقدر المستطاع بحقه الطبيعي في الحياة وفي العمل دون الحاق الضرر بالغير"<sup>(19)</sup>. وهذا القول هو تعبير عن زخم التحولات التي شهدتها المجتمعات الأوروبية بعد القرون الوسطى، في محاولة تجاوز مخلفات هيمنة الكنيسة على جميع مناحي الحياة، توجت هذه التحولات بالثورات السياسية، والفكرية، التي شهدتها المجتمعات الغربية خلال القرنين السابع عشر، والثامن عشر، في كل من إنجلترا، وفرنسا، والولايات المتحدة الأمريكية. بيد أن الاعتراف بدور المواطن في المشاركة السياسية في تدبير شؤون وطنه، "تعود أسسه إلى بروز المدينة "Polis" أثينا، وظهور مصطلح ديموس (DEMOS) في المجتمع الإغريقي، حيث كانت السلطة تستمد بشكل مباشر من المواطنين المنتمين للمجتمع الأثيني بالمعنى السياسي"<sup>(20)</sup>. هذا الانتقال لم يأت من فراغ بقدر ما جاء نتيجة: "لتطورات كبيرة شهدها المجتمع الأثيني انعكست آخر الأمر في صورة اضطرابات سياسية خلال القرنين السادس والسابع قبل الميلاد. فمثلا أن أثرياء المال الجدد يحرصون على أمرين: تحويل أموالهم إلى ملكية أرض، والمشاركة في الحياة السياسية وتولي مناصب المدينة-دولة. فأدت النقطة الأولى، إلى ارتفاع أسعار الأرض...فبدأت أزمة حادة في مختلف المدن وبصفة

(18) دومينيك شنابر، كريستيان باثولبييه، المرجع السابق، ص 13.

(19) باروخ اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة. ترجمة حسن حنفي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الرابعة، 1997، ص 446.

(20) قنصوه ياسر، الشرعية الديمقراطية في العالم الحديث (مراجعات واعدة .. تطبيقات مراوغة): التسامح، الناشر وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية، سلطنة عمان، المجلد 6، العدد 23 (30 يونيو/حزيران 2008)، ص 143.

خاصة في المدن التجارية الكبرى، التي شاركت في حركة الهجرة وتأسيس المستوطنات. وما اقترن بها من تجارة عالمية صاحبها نهضة صناعية مزدهرة.. بالإضافة إلى عنصر آخر يكمن في نظام جديد للجيش.. وكذا توفرت عناصر ثورة سياسية في كثير من المدن اليونانية، ولم يكن هدفها تغيير أشخاص الحكام، ولكن تغيير القوانين والنظام السياسي القائم<sup>(21)</sup>. إن هذه التطورات التي عرفتها كل المدن هي التي ستؤدي إلى الانتقال من نظام ملكي القائم على حكم الفرد الواحد، إلى نظام الأقلية أو حكم أليغارشية (oligarchia) الذي تزعمته إسبارطة، وحكم الأكثرية أو نظام ديمقراطي بمدينة أثينا. كانت ساحة أكورا (AGORA)، مهد هذا التوجه نحو جعل فضاء المدينة مفتوحاً أما المواطنين من أجل تبادل الآراء ومناقشة شؤون المدينة. وهي فضاء أمام أبناء مدن اليونان أو للذين يأتون لها من أجل أهداف تجارية. هذا النموذج الذي تميزت به المدينة في تلك المرحلة في مختلف مدن اليونان، بكونها فضاء سياسياً وثقافياً، فيه يجتمع المجلس المسير لشؤون المدينة مع المواطنين، قصد الاستماع لمقترحاتهم ومناقشة القضايا التي تهم الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية للمدينة. "لا يوجد مكان أفضل من المدينة الإغريقية، ومن أثينا بوجه خاص، للتحقق فيه من التفاوت بين العقل والكيان الذي يعبر به عن نفسه، أي الكيان الاجتماعي الذي يتحول إلى بيئة متمدنة أو مدنية. ولا جدال في أن أحد مظاهر النظام الذي نجده في العقل الإغريقي قد انتقل إلى المدينة في أواخر العصر الهيلينيسي، إلا ما نلقاه في مدينة القرن الخامس كان شيئاً أدق اتصالاً بصميم حياة الإنسان"<sup>(22)</sup>. حيث لم يكن الانتماء الجغرافي للمدينة هو المميز، بل الأدوار التي توفره المدينة للمواطنين لممارسة أنشطتهم بشكل يحقق لهم الوجود السياسي والاجتماعي، من خلال المشاركة في المناقشات العمومية، والشعر، والمسرح والرواية، فكان الإنسان مركز الحياة داخل المدينة. وهذا يتجسد بشكل أعمق في انخراطه في تسيير شؤونها، إذ "كان لأثينا مجلس وجمعية شعبية. وكان كل أثيني يتمتع بحقوق المواطنة كاملة عضواً في الجمعية الشعبية. وكان أعضاء المجلس يختارون من جميع المواطنين لإعداد ما يعرض على الجمعية والإشراف على حسن تنفيذ قراراتها والاشتراك مع الحكام المختلفين في إدارة شؤون الدولة."<sup>(23)</sup>. يعتبر هذا الاجراء مهماً في تاريخ المدينة تأسس عليه تصورات مابعد

(21) مجموعة من المؤلفين، الديمقراطية، مقال مصطفى العبادي، ديمقراطية الأثينيين، عالم الفكر، الناشر وزارة الاعلام، الكويت العدد 2- أكتوبر 1993 ص 57 ص 58.

(22) لويس ممفورد، المدينة على مر العصور أصلها وتطورها ومستقبلها (الجزء الأول)، ابراهيم نصحي، حسين نصار، المركز القومي للترجمة، القاهرة 2016، ص 287.

(23) لويس ممفورد، المرجع السابق، ص 301.



التجربة الإغريقية، وكانت منطلق الحديث عن ديمقراطية فضاء المدينة، وتجاوز الممارسات التي كانت فيها المدينة تحت سلطة الحاكم وحده رفقة نخبة من المجتمع اليوناني.

غير أن التجربة الأولى للمشاركة السياسية للمواطنين بأثينا سجلت حولها ملاحظات أساسية، بينت نواقصها، من أهمها إقصاء النساء، والعبيد والأجانب من المشاركة في اختيار السلطة السياسية التي ستتولى مهمة تدبير شؤون مدينة أثينا. " ليس بصحيح ما يشيع من رأي حول سيادة الديمقراطية كلية على الحياة الإغريقية؛ فلم تكن الديمقراطية طية حالة إغريقية عامة، بل كانت فقط حالة تخص أثينا، فضلا عن أنها كانت ديمقراطية منقوصة وقاصرة وحصرية، كما كانت مرفوضة على المستوى الفلسفي خاصة عند أفلاطون ( 428-347 Plato ق.م.)، وأرسطو (323 384 Aristotle ق.م.)".<sup>(24)</sup> غير أن الأهم في هذا السياق هو أن الإرث السياسي ببلاد الإغريق كان الأساس الذي انطلقت منه باقي التجارب السياسية الغربية فيما بعد، كما شكلت لفلاسة النهضة الأوروبية مرجعيات مهمة لبلورة فكرة الدولة المدنية، الساعية إلى جعل السلطة تنبعث من الإرادة المشتركة للمواطنين. حيث أن الحديث عن المواطنة في هذه المرحلة سيعبر عن مخرجات تأسيس -الدولة الحديثة- دولة القانون الحق، التي ستصبح فيها السلطة السياسية مبنية على أسس ديمقراطية والتي تتسم بالحضور الكامل للفرد في الحياة العامة، في إطار يستفيد فيها الفرد من حقوق واسعة، ويؤدي واجبات بها تتحقق المصلحة العامة والخاصة، تحت سيادة القانون فوق الجميع على قدم المساواة، مما يحقق انسجاما تاما بين الأفراد وسلطة الدولة. يقول جون لوك عن ذلك " يبدو لي أن الدولة جماعة من الناس تكونت لغرض وحيد هو المحافظة على خيراتهم المدنية وتنميتها. وأنا أقصد بـ "الخيرات المدنية" الحياة، الحرية، سلامة البدن وحمايته ضد الألم، وامتلاك الخيرات الخارجية مثل: الأرض، النقود، المنقولات. الخ. وواجب على الحاكم أن يؤمن لكل فرد على حدة، بواسطة قوانين مفروضة بالتساوي على الجميع المحافظة الجيدة وامتلاك كل الأشياء التي تخص هذه الحياة"<sup>(25)</sup>. يعبر هذا القول عن التحول الذي سيحدث بشكل جذري في طبيعة السلطة

(24) محمد عثمان الخشت، الشرعية في المجتمع الإغريقي و أشكال الحكومات لدى أفلاطون و أرسطو، التسامح، الناشر وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية، سلطنة عمان، المجلد 6، العدد 23 (30 يونيو/حريزان 2008)، ص 93.

(25) جون لوك، رسالة في التسامح، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1988، ص ص. 70-71

السياسية للدولة، في علاقتها بالمواطنين من جهة أولى، وفي طبيعة تشكيلها من جهة ثانية، وفي الغايات التي ستركز بشكل أساسي على خدمة الحقوق المدنية للمواطنين من جهة ثالثة.

هذا التحول الحاصل في الانتقال من المدينة بالمعنى اليوناني للمفهوم، إلى التحديد الحديث مع مفهوم الدولة لا يختلف من حيث الغاية القصوى التي من أجلها وجدت. إذ أن المدينة كفضاء للمواطنين ظل حاضرا حتى داخل الدولة، فأصبحت المدن تتمثل على شكل مؤسسات وهيئات، حكومية، وترايبية، ومدنية وسياسية وثقافية، مؤطرة بقوانين. فلم تعد المدينة مفتوحة كما كانت في بلاد اليونان، لكن ظلت هي الحاضنة للبنيات التي أسست لتمكين المواطنين من تفعيل مواظنتهم داخل المؤسسة المعنية بذلك. ولا يهمننا في هذا السياق معنى المدينة وفق المعايير المحددة إداريا، وعدد السكان، والمساحة الجغرافية. والانغلاق الذي خلقته المجالات الحضرية على المجالات القروية في هذا التحديد، والتي يقول عنها ف.بروديل (1902-1985 Braudel Fernand)، نقلا عن تصور ماكس فيبر للمدن المغلقة، "صحيح أنها مدن خاصة، وترفض أن تعطي بعض الاعتبارات للذي يوجد خارج أسوارها ... أو الأرياف القريبة التي تحيط بها والتي غالبا ماتكون خاضعة لها... هذا النظام ظل مختلفا عما وُجد قديما -في بلاد اليونان- والتي كانت مفتوحة لدرجة أن الفلاح الأثيني في العصر القديم كان مواطنا بنفس درجة من يسكن المدينة"<sup>(26)</sup>. هذا الانغلاق جاء نتيجة تحول المجتمعات من المدينة إلى مفهوم الدولة التي قامت أساسا على عناصر تختلف عن الانفتاح الذي ميز نمط المدينة بالمعنى الإغريقي، فهيمنت رؤية الحدود الجغرافيا بين المجالات الترابية للمدن والقرى، بشكل أثر على معايير الفصل بين المدينة وغيرها. سيتضح هذا الانغلاق بشكل كبير في عهد الامبراطورية الرومانية، حيث كانت روما المركز مهيمنة على باقي المدن الأخرى سواء المحلية منها أو المستعمرة والتابعة لسيادة روما. "وأما حيث كانت روما تترك للمدن قسما من الحرية في إدارة شؤونها الداخلية، فإن ذلك لم يكن لتشجيع التنوع، بل للإبقاء على ما استقر منذ زمن طويل من الغيرة وسوء الظن بين المدن المتجاورة، ضمانا لبقاء سيادة روما كاملة عن طريق استمرار الفقرة بين تلك المدن"<sup>(27)</sup>. أدى ذلك إلى فشلها في بناء نظام سياسي ديمقراطي، ونظام اجتماعي عادل، نتيجة احتكارها

(26) Braudel, F. Grammaire des civilisations, Ed Flammarion, Paris ,1987. P363

(27) لويس مفورد، المرجع السابق، ص 376.

لعملية تدبير شؤون المدن التي يغيب عنها اشراك المواطنين في تدبير شؤونهم. وهو ما لم يتحقق يتحقق إلا مع المدن الجديدة لايطاليا التي سعت إلى تجاوز سلبات الهيمنة التي كانت تفرضها روما.

وفي ظل هذه التحولات التي شهدتها المجتمعات الغربية بالأساس، في ظل الثورات السياسية، والاجتماعية، على غرار الثورة الفرنسية، والأمريكية، والتي أثرت في مفهوم المدينة وهندستها الاجتماعية والسياسية، وواكبتها تحولات في موقع المواطن داخل المدن التي تحول فيها إلى مركز للعناصر الأساسية المشكلة للمواطنة. هذا ما جعل العديد من التيارات الفكرية في العلوم الاجتماعية تهتم بمفهوم المواطنة داخل المدن المعاصرة، في القرن العشرين وفي بداية القرن الواحد والعشرين، في ظل التحولات الكبرى التي شهدتها العالم المعاصر، والذي تم وصفه كما رأينا مع المجتمع الشبكي، بأوصاف مختلفة تعبيرا عن التحولات التي شهدتها المجتمعات المعاصرة، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، والحرب الباردة، وسقوط الأنظمة الشمولية، وبروز حركات اجتماعية حاملة لمطالب اجتماعية، وثقافية، وبيئية، في وجه المد النيوليبرالي، فكانت هذه الحركات أرضية لبروز الجيل الثالث للديمقراطية القائم على سياسيات أكثر انفتاحا وتشاركية ومسؤولية. في سياق يتسم بالمد الحقوق العابر للحدود، وعولمة الحقوق بمختلف أشكالها. انعكست هذه السياقات على طبيعة الكتابات التي اهتمت بمفهوم المواطنة في تلك الفترة.

### 3.1- دور قيم التعايش المشترك في تحقيق الاندماج الاجتماعي داخل المدينة:

نستخدم هنا مفهوم التعايش المشترك كتعبير عن قبول الاختلاف الوارد بين جميع مكونات المدينة؛ ثقافيا ودينيا، ولغويا وفكريا وسياسيا. والتعايش المشترك هو عنصر أساسي لتحقيق الاندماج والتماسك بين الهويات المشكلة لفضاء المدينة. إذا كانت المدينة هي الحاضنة لكل الثقافات المشكلة للمجتمع، والفضاء الذي تتنافس فيه توجهات الأفراد والجماعات، باختلاف غاياتها، فإن مبدأ التعايش المشترك هنا يضمن الاستمرارية لهذه العناصر المختلفة لضمان استمرارية حياة المدينة وديناميتها، بشكل سلمي وعقلاني، يؤدي إلى تحقيق الحق في الاختلاف بين الأفراد والجماعات داخل فضاءات المدينة. نشير هنا إلى تعدد العوامل التي تدفعنا إلى طرح أهمية المدينة في جعلها فضاءا للتعايش المشترك، نذكر منها التوجه الذي سارت عليه المجتمعات المعاصرة نحو تنميط الحياة اليومية والاجتماعية داخل المدينة،

وسعها إلى جمع الهويات الثقافية والفكرية والفنية في قالب موحد، يؤدي بشكل مباشر إلى إقصاء لباقي الهويات الأخرى. وهذا المد ناتج عن أثر مد العولمة وما خلفه من دعاية مكثفة لنماذج محددة على حساب مكونات أخرى ثقافياً وفكرياً، وسياسياً واجتماعياً ودينياً. "وبموازاة ذلك حصل تراجع كبير في نظام العلاقات المدنية، فتخلت المجتمعات أو كادت عن الرابطة الوطنية لحساب العلاقة الطائفية والعشائرية والعائلية"<sup>(28)</sup>. وبالتالي فإن كل إكراه يمارس داخل المجتمعات لفرض نمط محدد للعيش داخل المدينة سواء كان هذا الإكراه نابع من داخل المدينة أو خارجها، فإن المصير هو العنف والإقصاء. ونرجع في هذا السياق كل إقصاء اجتماعي أو ثقافي أو سياسي أو فني داخل المدينة، إلى التمثلات الخاطئة المشكلة حول الآخر، الآخر هنا بمعناه الذاتي أو الثقافي أو الاجتماعي. لهذا فإن القلق المعاصر على المدينة وخصوصياتها زادت حدته مع التخوف المرافق للمد العولمي الذي يقوده بالأساس أصحاب رؤوس المال وقوى اقتصادية كبرى، تسعى إلى جعل المجتمعات العالمية، مجتمعات مستهلكة للنماذج التي تسوق لها، دون الأخذ بعين الاعتبار التهديد الذي تمارسه على باقي الخصوصيات المجتمعية الأخرى، ويعد هذا من العوامل الأساسية التي تمس بمبدأ التعايش المشترك بين المجتمعات رغم اختلافها وتنوعها. فإذا كانت المجتمعات البشرية في مراحل من تاريخها تستمد عناصر تعايشها من خلال القواسم المشتركة بيمن مكوناتها الداخلية، فإن بروز العولمة فرض عليها أن تأخذ في الاعتبار العوامل العابرة للحدود الجغرافية والسياسية، بيد أن الإشكال ليس في هذا الانفتاح على العالم، بل الطريقة التي تفرض بها الأشكال الثقافية والهوياتية الأخرى على ما هو سائد محلياً. يقول محمد عابد الجابري في هذا السياق إن: "عملية العولمة بهذا المعنى، يقودها فاعلون اقتصاديون من نوع جديد. لقد كان المهنيون على الاقتصاد الحديث، منذ النهضة الأوروبية إلى أواسط هذا القرن، هم أساساً مالكي رؤوس الأموال من تجار وصناعيين ومدراء، وكان نشاطهم محدوداً بحدود الدولة القومية التي ينتمون إليها... أما اليوم، فإن ما يميز العولمة هو أن الفاعلية الاقتصادية فيها يقوم بها المقاولات.. وشركات متعددة الجنسيات. والغاية التي تجري إليها هي القفز على حدود الداخل والخارج والسيطرة بالتالي على المجال الاقتصادي والمالي..."<sup>(29)</sup>. هذا القفز الذي أشار إليه الجابري، لم يمس فقط الصعيد الاقتصادي، بل امتد كذلك إلى أبعاد اجتماعية من خلال بروز أنماط متشابهة من

(28) برهان غليون، العولمة وأثرها على المجتمعات العربية، ورقة مقدمة إلى: اجتماع خبراء اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، حول "تأثير العولمة على الوضع الاجتماعي في المنطقة العربية"، بيروت 19-21 ديسمبر 2005. ص 2.

(29) محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مركز الدراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت 1997، ص

نماذج التربية والتعليم، والأسرة. وثقافية من خلال التأثير الذي أحدثته وسائل الاتصال في نقل الثقافات بين المجتمعات. وسياسية من خلال تأثر الأنظمة السياسية المحلية بالتوجهات الكبرى للأنظمة العالمية عبر مؤسساتها الاقتصادية، والإعلامية والثقافية. لهذا لم يكن استحضار هذا المعطى من فراغ، بل إنه يعتبر متغير أساسي للحديث عن الدوافع التي يجب استحضارها أثناء كل دعوة للتفكير في أهمية التعايش المشترك بين المجتمعات بشكل عام، وداخل المدينة بشكل خاص. إن هذا المد العولي الذي كسر الخصوصيات الثقافية والاجتماعية للمجتمعات، تحت غطاءات اقتصادية واستهلاكية، كان له دور مهم في إعادة التفكير في أهمية جعل المدينة تؤدي أدوارها الثقافية والاجتماعية، في المرحلة المعاصرة، من أجل الحفاظ على العناصر الأساسية التي يمكن لها أن تحقق الاندماج الاجتماعي، للأفراد والجماعات داخل المدينة. ومواجهة التحديات التي نتجت عن عولمة المجتمعات.

## 2- المدينة وهران تحقيق الاندماج الاجتماعي:

### 2-1 مفهوم الاندماج الاجتماعي:

اهتمت الحقول المعرفية في مجال العلوم الإنسانية بمفهوم الاندماج الاجتماعي لما له من حضور مهم في الدراسات السوسيولوجية والثقافية والسياسية في الفترة المعاصرة. خاصة في سياق التحديات التي أصبحت تعرفها المدن المعاصرة، من خلال بروز معالم كثيرة لسيادة الفردانية، والتوجه المكثف نحو العزلة الرقمية، نتيجة التحولات التي عرفتها مظاهر الاتصال والتواصل، في ظل الاستخدام المكثف لمواقع التواصل الاجتماعي، وضعف العلاقات الاجتماعية في بعدها الواقعي. وحيث إن الحديث عن المجتمع البشري لا يمكن أن يتم إلا لكون التجمعات البشرية حققت وجودها عن طريق الاندماج الاجتماعي للأفراد والجماعات، واندماجا للسلوكات والمواقف والقيم، وانماط العيش والتفاعل وأشكال العلاقات والتواصل. باعتبار أن الكائن البشري وفي ميله للحياة الاجتماعية والتواجد داخل المجتمع، يحتاج إلى تمكينه من الشروط التي تمكنه من تحقيق العيش المشترك من خلال اندماجه الاجتماعي. هذا الأخير ترجع مسألة الاهتمام به كإشكالية في العلوم الاجتماعية، إلى مرحلة التحولات التي أحدثتها الثورة الصناعية بالمجتمعات الغربية. ويحضر هذا المفهوم في الأدبيات السوسيولوجيا خاصة مع اميل دوركايم (1858-

1917 (E. Durkhiem)، "استخدمه بالفعل عندما كان يفكر في الرابط الاجتماعي"<sup>(30)</sup>. فالرابط الاجتماعي في علاقته بالاندماج الاجتماعي عند اميل دوركايم، يمكن فهمه من خلال بعدين، "عدد التفاعلات بين الأفراد واقتسام قيم مشتركة؛ فالاندماج هو نتاج مباشر لعدد أفراد المجتمع وكثافة التفاعلات التي تتم بينهم، ونتاج كذلك لقبول وإنتاج قيم وممارسات مشتركة، وصياغة هدف مشترك يتجاوز المصالح المباشر للأفراد"<sup>(31)</sup>. وبالتالي يمكن القول أن الاهتمام بمفهوم الاندماج الاجتماعي، جاء في سياق التحولات الكبرى التي شهدتها المدن الأوروبية، يقول السوسيولوجي الفرنسي فرونسوا دوبي (François Dubet 1946-): "نشأت المشكلة طوال القرن التاسع عشر عندما تأكلت المجتمعات التقليدية بسبب الثورة الصناعية والثورة الديمقراطية، عندما لم يتمكن النظام الاجتماعي من استخلاص تماسكه من الآلهة أو التقاليد"<sup>(32)</sup>. انطلاقاً من هذا نستنتج أن التحولات التي تشهدها المجتمعات المعاصرة، وتفكك البنيات التقليدية التي كانت تؤدي مهمة الاندماج الاجتماعي، هي الدافع الأساسي لمقاربة موضوع الاندماج الاجتماعي في التغيرات التي تعرفها المدن في تركيبها الثقافية، والهوياتية، وأشكال التنظيمات الاجتماعية السائدة، والأساليب المعتمدة في التنشئة الاجتماعية والتربية والتكوين، داخل المؤسسات الحكومية والمدنية. من هنا يعني الاندماج الاجتماعي، "تعديل الأفراد لوضعياتهم وفق ما أسماه بير بورديو Pierre Bourdieu 1930-2002 الهابيتوس (habitus)"<sup>(33)</sup>، والذي يعبر عن الحمولة الثقافية والاجتماعية التي يحملها الأفراد من قيم وتمثلات، وقوالب جاهزة للفكر وأنماط السلوك، والتي رُسخت فيهم من قبل البنيات الاجتماعية. إن ما يهمنا هو أن تفكك هذه البنيات داخل المجتمعات وعدم تعويضها ببدايل قادرة على تحقيق الاندماج الاجتماعي داخل المدن المعاصرة، عزز من الميل نحو الفدرانية والانعزال عن الحياة المشتركة داخل الفضاءات العمومية للمدينة.

<sup>(30)</sup> Alexandre Fabry, Rajen Jaganathen, Penser et Mesurer L'intégration, pour une Approche entre théorie et pragmatisme. Les cahiers de l'observatoire, cahier n 29. ORIV-ALSACE/SEPTEMBRE 2000. P15.

<sup>(31)</sup> فوزي بوخريص، المرجع السابق، ص 9.

<sup>(32)</sup> François Dubet. l'INTEGRATION ET COHESION SOCIALES, Communication à la journée d'étude organisée par l'ACOFIS à l'Institut du Développement Social, Canteleu-Rouen, le 15 mai 2008. P1.

<sup>(33)</sup> Ibid, p. 2

## 2-2 المدينة فضاء لتحقيق الاندماج الاجتماعي:

سيتم تناول دور المدينة في تحقيق الاندماج الاجتماعي من خلال النظر إلى هذا الأخير باعتباره: "العملية التي تمكن الأفراد من الانصهار في مجتمعاتهم، أفقيا بتمثل قيمها، عاداتها، وأنماط عيشها، وعموديا باكتساب هوية سياسية تعزز انتسابهم لمؤسسة الدولة وتوطد ولاءهم لها"<sup>(34)</sup>. مما يعني هنا أن تناول دور فضاءات المدينة في تحقيق الاندماج الاجتماعي، سيتم من خلال استحضار هذه الأبعاد التي تمكن من قياس مدى تحققه من عدمه. حيث لا يمكن أن نتحدث عن ذلك إلا من خلال مساءلة مباشرة للسياقات التي تعيشها علاقة المواطنين بمؤسسات الدولة من جهة، وعلاقتهم بالمؤسسات المدنية ذات أبعاد ثقافية، ورياضية، وترفيهية. إذ هناك من يربط مشكلة الاندماج الاجتماعي بـ "ضعف الدولة الراجع بالأساس إلى غياب الديمقراطية ومبادئ حقوق الإنسان، وكذلك انعدام تنمية فعلية مبنية على تنظيم وتطوير الإنتاج والتحكم في فائض القيمة الذي يصب أغلبه في الخارج"<sup>(35)</sup>. إن العلاقة هنا بين الاندماج الاجتماعي تكمن في جعل المدينة فضاءً مفتوحاً أمام مجمل الأشكال التعبيرية التي تظهر فيها المكونات الثقافية، والاجتماعية بشكل متجانس، تحترم فيه عناصر الاختلاف الموجودة داخل المدينة. ولن يتم هذا إلا عبر عملية نشر ثقافة حقوق الإنسان داخل المجتمع كأحد الشروط الأساسية التي تسهل على النظام في المدينة ممارسة مهامه في تحقيق اندماج المواطنين، من خلال توفير مساحات أكبر للأفراد والجماعات للتعبير عن مواقفهم من القضايا التي تهم شؤون المدينة، والتي يمكن أن تتخذ أشكالاً فنية، وتنظيمية. كما يمكن لها أن تغذي دينامية وحركية المجتمع في مجالات حقوقية ومدنية وسياسية. وأن كل إقصاء لمثل هذه الأشكال ستحد بشكل أساسي من أي محاولة تسعى لتحقيق الاندماج المنشود.

إننا نعتبر هنا أن الحق في المدينة هو الركيزة الأساسية لما سيتحقق فيما بعد من حقوق لمختلف مكونات المدينة في استغلال فضاءاتها العمومية والخاصة، قصد تحقيق الغايات الاجتماعية والثقافية التي تعزز ثقافة الاندماج الاجتماعي. ولعل الانغلاق الحقوقي الذي تعرفها العديد من المجتمعات يؤثر

(34) امحمد مالكي، الاندماج الاجتماعي وبناء مجتمع المواطنة في المغرب الكبير، في جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة في الوطن العربي، مجموعة مؤلفين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2014، ص 667.

(35) فوزي بوخريص، الاندماج الاجتماعي والديمقراطية: نحو مقاربة سوسيولوجية، مؤسسة مؤمنون بلاحدود، ديسمبر 2021، ص 4.

بشكل مباشر في أدوار المدينة، مما يجعلها تؤدي فقط أدوار الضبط الاجتماعية، والرقابة على الأفراد والجماعات. مما ينتج عنه بشكل مباشر هروب من المجتمع. فالأمر يحتاج بالأساس إلى تعزيز الثقة بين المواطنين والمدينة. والتي لا يمكن أن يتحقق إلا باعتماد المقاربات المواطنة للمدينة من خلال تفعيل العناصر الأساسية للمواطنة، والتي تشكل مدخل أساسي لكل اندماج اجتماعي للمدينة. وتُبنى هذه العناصر على جعل المواطن عضو فعال داخل المدينة، يجد فيها ذاته، ويجسد فيها وجوده الاجتماعي والسياسي، والثقافي، وهو وجود يتأسس على ما توفره المواطنة من ميزتين :

- الأولى، أن المواطن يشكل عضواً في نظام سياسي، وعلى هذا النحو فإن المواطنة تنطوي حتماً على عملية جدلية بين الاندماج والاستبعاد، بين أولئك الذين يعتبرون مؤهلين للحصول على المواطنة والذين حرموا من حق العضوية. في أول تعبير لها في اليونان القديمة، كان النظام السياسي المعني هو الدولة المدينة. في العالم الحديث، تم تحويله إلى دولة وطنية.

-ثانياً، تجلب العضوية معها مجموعة متبادلة من الواجبات والحقوق، وكلاهما يختلف حسب المكان والزمان، على الرغم من أن بعضها عالمي. وبالتالي، فإن دفع الضرائب والامتثال للقانون من بين الواجبات المتوقعة من المواطنين في جميع الأنظمة السياسية، في حين أن الحق في المشاركة في العملية السياسية بطرق مختلفة - من خلال التصويت والترشح للمنصب والمناقشة والالتماس وما إلى ذلك - هو سمة متأصلة في الديمقراطية<sup>(36)</sup>.

هكذا يمكن للمدينة أن تؤدي أدوارها الاجتماعية والسياسية والحقوقية، وتجعل منها فضاءاً يسمح للمواطنين بالاندماج الاجتماعي. عوض أن تتحول المدينة إلى فضاء مادي فزيائي يحضن الأجساد دون روح ثقافية واجتماعية. لهذا فإن تجاوز المقاربة المادية الفزيائية للمدينة وترسيخ فلسفة المدينة كفضاء حاملة لروح اجتماعية، وحياء ثقافية مفعمة بالتعايش المشترك، لن يتأتى من فراغ. بل إن الأمر يحتاج لإرادة سياسية فعلية، ومشاركة مدنية للمجتمع المدني والحقوق، يرسخ ثقافة المواطنة داخل المدينة، إذ معلوم "أن طرح إشكالية الاندماج الاجتماعي والديمقراطية وبناء مجتمع المواطنة يعني التفكير في طريقة العيش الجماعي في إطار الوطن أو الدولة أو كيان جماعي آخر، وكذلك التفكير في عوائق هذا

<sup>(36)</sup> Peter Kivisto and Thomas Faist, Citizenship Discourse, Theory, and Transnational Prospects, blackwell publishing, First published 2007, P 8.



الاندماج سواء في عملية بناء الدولة أو عمليات التحديث السياسي والتحول الديمقراطي، بحكم أن بناء الدولة محايث لسيرورة التحديث السياسي، وما تطرحه من قضايا أهمها الاندماج الاجتماعي<sup>(37)</sup>. فعندما أشرنا في إحدى فقرات هذا المقال لأهمية التعايش المشترك داخل المدينة، فمن أجل التأكيد على أن المدينة التي توفر للمواطنين الحق في الوجود الاجتماعي المشترك دون إقصاء لذاته وميولاته واهتماماته الخاصة، تستطيع أن تساهم في تحقيق الاندماج الاجتماعي بالشكل الذي يتم فيه التوازن بين مكونات المدينة. عن هذا يعتبر يورغن هابرماس (J. Habermas) أنه: "يحدث اندماج الفرد في المجتمع في العديد من المجالات (الاقتصادية، والثقافية، والسياسية، وما إلى ذلك) ومع ذلك، يبدو أن الاندماج حاليًا في عدد كبير من المجالات أكثر صعوبة (بسبب الصراع الاجتماعي، والعولمة، وما إلى ذلك) منذ ذلك الحين فصاعدًا، لا يمكن لعمليات التكامل أن تتبلور وتتخذ معنى إلا من خلال السياسة وعملية الدمج. هذا الأخير يشير إلى حقيقة الوصول إلى مكانة المواطن، ويولد اندماجًا اجتماعيًا مجردًا، ومع ذلك فإن هذا الاندماج المجرد ضروري. وفي الواقع، إن بناء هويات الأفراد والجماعات، هو ثمرة العمل العلائقي؛ من تبادل مع الآخر.. وكل هوية هي بين ذاتي أي بين الذوات، والتماسك الاجتماعي للمجتمع يبني من خلال التبادل بين كل فرد من أعضاء المجتمع"<sup>(38)</sup>. هذا الطرح الذي يدافع عن هذه الأبعاد المهمة للتفكير في عملية الاندماج الاجتماعي، يستحضر بشكل واضح أهمية تمكين الأفراد من الحق في الانتماء الاجتماعي للمدينة من خلال مداخلة عدة سياسية وثقافية ودينية ومدنية. وقصد تحقيق ذلك نقترح العناصر الآتية:

- جعل فضاءات المدينة مفتوحة أمام مختلف مكونات المجتمع، بعيدا عن المزايدات

الضيقية سياسيا وثقافيا؛

-تشجيع المبادرات المدنية التي تتبنى الدفاع عن الهويات المشكلة للمجتمع بمختلف

أشكالها، لضمان استمراريته في إطار اجتماعي يقبل الاختلاف والتعدد داخل المدينة؛

(37) فوزي بوخريص، المرجع السابق، ص 4.

(38) Alexandre Fabry, Rajen Jaganath, op. cit. p 16-17.

- تعزيز الثقة بين مكونات المدينة؛ سياسياً وثقافياً واجتماعياً وتربوياً، واقتصادياً قصد تحقيق مجتمع المواطنة.
- وضع الفضاءات العمومية رهن إشارة المؤسسات التربوية، والمدنية والحقوقية لإحياء روح المجتمع بكل تلاونه لتحقيق الاندماج بين جميع مكوناته؛
- تأهيل المجتمع المدني للقيام بالأدوار التشاركية التي ستساهم في تغذية الأبعاد التطوعية للمجتمع؛
- أخذ مطالب الحركات الاجتماعية بعين الاعتبار في السياسات العمومية، باعتبارها المحرك الأساسي لدينامية المجتمع وتطوره؛
- تشجيع فتح الساحات العمومية أمام التنظيمات الشبابية للمسرح ومختلف الفنون، كركيزة أساسية لتحقيق الاندماج الاجتماعي في الفضاءات العمومية؛

## خاتمة

تلخيصاً لما سبق، يمكن القول إن اعتبار المدينة أكثر من مجرد جدران وفضاء فزيائي مادي، يستدعي بالأساس تأهيل المدينة بمختلف عناصرها ومؤسساتها، لكي تستطيع أن تؤدي مهمة الاندماج الاجتماعي للأفراد والجماعات داخلها. ومن أجل ذلك ركزنا بالأساس على المواطنة كمدخل أساسي للحديث عن المدينة كفضاء اجتماعي، وسياسي وثقافي. باعتبار أن المواطنة تضم كل الشروط التي من شأنها أن تساهم في تحقيق اندماج فعلي داخل مجتمع المواطنة. هذا ما جعل العديد من التيارات الفكرية في العلوم الاجتماعية تهتم بمفهوم المواطنة، في القرن العشرين وفي بداية القرن الواحد والعشرين، في ظل التحولات الكبرى التي شهدتها العالم المعاصر.

هذا ما استدعى ضرورة طرح مفهوم الاندماج الاجتماعي للتفكير والبحث في العلوم الإنسانية. فكان التركيز في البداية على المقومات الأساسية التي من شأنها أن تحافظ على تماسك المجتمع، من خلال المبادئ والقيم المشتركة، والتي تشكل الوعي الجمعي للأفراد والجماعات. فضلاً على ذلك كان التوجه بالأساس نحو البحث في أسباب تفكك الروابط الاجتماعية التي كانت من المتغيرات الاجتماعية الأساسية التي لها دور في تراجع مستويات

الاندماج الاجتماعي. لهذا ركزنا في طرحنا على أهمية استحضار المقاربات الحقوقية، والاجتماعية والسياسية التي نرى من خلالها إمكانية جعل المدينة فضاءات للتواصل والتعايش المشترك كمدخل أساسية لتحقيق الاندماج الاجتماعي.

عموما إن هذا الطرح المعتمد في مقاربة الموضوع، والذي أخذ بعين الاعتبار مختلف الحقول التي من شأنها أن تتناول تيمة المدينة والمواطنة والاندماج الاجتماعي، نعتبر أساسيا في شمولية الموضوع. طالما أن المدينة هي التي تمتد فيه الحياة الخاصة والعامة للمجتمع بكل مكوناته. ومن خلالها نقيس الوعي المجتمعي الذي يقدم صور مسارات المجتمع مقيمته وتوجهاته، وفيه تظهر انفعالات فردية وجماعية، وتمارس فيها قناعات وسلوكات، حاملة لدلالات اجتماعية، وتوافقات واختلافات أطياف المجتمع، في الهوية الذاتية للأفراد، أو الثقافية والدينية. ولأن المدينة مجال أوسع لبروز تنافس الرغبات والتوجهات الخفية لمؤسسات الدولة وللمواطنين، فإن ربط المدينة بالمواطنة كمنطلق لتحقيق الاندماج الاجتماعي، نعتبره محور أساسي ضمن المحاور الأخرى التي يجب استحضارها عند تناول قضايا المدينة.

#### لائحة الببليوغرافيا:

##### باللغة العربية:

- ابراهيم محمد عباس، التنمية والعشوائيات الحضرية، اتجاهات نظرية وبحوث تطبيقية، دار المعرفة الجامعية 2000.
- ابن منظور، لسان العرب، دار احياء التراث العربي، بيروت مجلد 15، ط2. 1993.
- اسبينوزا باروخ ، رسالة في اللاهوت والسياسة. ترجمة حسن حنفي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الرابعة، 1997.
- أفلاطون، الجمهورية، ترجمة ودراسة فؤاد زكرياء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1985م.

- بوخريص فوزي، الاندماج الاجتماعي والديمقراطية: نحو مقاربة سوسيولوجية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ديسمبر 2021.
- الجابري محمد عابد ، قضايا في الفكر المعاصر، مركز الدراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت 1997.
- الخشت محمد عثمان ، الشرعية في المجتمع الإغريقي و أشكال الحكومات لدى أفلاطون و أرسطو، التسامح، الناشر وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية، سلطنة عمان، المجلد 6، العدد 23 (30 يونيو/حريزان 2008).
- دومينيك شنابر، كريستيان باشوليه، ما المواطنة؟ ترجمة سونيا محمود نجا، المركز العربي القومي، العدد 2618، القاهرة 2016.
- الشماس عيسى ، المجتمع المدني " المواطنة والديمقراطية". سوريا منشورات اتحاد العرب، 2000.
- شنابر دومينيك ، كريستيان باشوليه، ما المواطنة؟ ترجمة سونيا محمود نجا، المركز العربي القومي، العدد 2618، القاهرة 2016.
- شهاب الدين الخفاجي المصري، شفاء الغليل في كلام العرب من الدخيل (1569 - 1659م) - تحقيق د. محمد كشاش. مكتبة الشامل الإلكترونية، ص 334. رقم الكتاب في المكتبة الشاملة: 55079، الطابع الزمني: 20-01-2022.
- عاطف غيث محمد ، قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، 1995.
- العبادي مصطفى ، ديمقراطية الأثنيين، مجموعة من المؤلفين، عالم الفكر، الناشر وزارة الإعلام، الكويت العدد 2. أكتوبر 1993.
- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ، ص 384.
- العمر معن خليل ، علم اجتماع الديمقراطية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2014.
- غانم أحمد الصانع، التأصيل التاريخي لمفهوم المواطنة، دراسات اقليمية، العدد 13، العراق، 2009.

- غليون برهان ، العولمة وأثرها على المجتمعات العربية، ورقة مقدمة إلى: اجتماع خبراء اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، حول "تأثير العولمة على الوضع الاجتماعي في المنطقة العربية"، بيروت 19-21 ديسمبر 2005.
- قنصوه ياسر، الشرعية الديمقراطية في العالم الحديث (مرجعيات واعدة .. تطبيقات مراوغة): التسامح، الناشر وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية، سلطنة عمان، المجلد 6، العدد 23 (30 يونيو/حزيران 2008).
- لوك جون ، رسالة في التسامح، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1988.
- مالكي امحمد ، الاندماج الاجتماعي وبناء مجتمع المواطنة في المغرب الكبير، في جديليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة في الوطن العربي، مجموعة مؤلفين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2014 .
- مان مشيل ، موسوعة العلوم الاجتماعية، ترجمة عادل الهواري، مكتبة الفلاح، الكويت، ط 1، 1984.
- ممفورد لويس ، المدينة على مر العصور أصلها وتطورها ومستقبلها (الجزء الأول)، ابراهيم نصحي، حسين نصار، المركز القومي للترجمة، القاهرة 2016.

#### باللغات الأجنبية:

- Alexandre Fabry, Rajen Jaganathén, Penser et Mesurer L'intégration, pour une Approche entre théorie et pragmatisme. Les cahiers de l'observatoire, cahier n 29. ORIV-ALSAGE/SEPTEMBRE 2000.
- Braudel, F. Grammaire des civilisations, Ed Flammarion, Paris ,1987.
- François Dubet. l'INTEGRATION ET COHESION SOCIALES, Communication à la journée d'étude organisée par l'ACOFIS à l'Institut du Développement Social, Canteleu-Rouen, le 15 mai 2008.

- Peter Kivisto and Thomas Faist, Citizenship Discourse, Theory, and Transnational Prospects, blackwell publishing, First published 2007.
- The New Encyclopedia Britannica, Volume 3, micropaedia, Library of congress, 15th edition, u.s.a 2003.